

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ

إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؛

حُبُّ الدُّنْيَا: هُوَ التَّعَلُّقُ بِمَتَاعِهَا الزَّائِلِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

إِنَّ رَسُولَنَا الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَدْ عَقَدَ

مُعَاهَدَةً سَلَامٍ مَعَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَقَدْ أُرْسِلَ رَسُولًا لَهُ إِلَى

هُنَاكَ. فَعَادَ ذَلِكَ الرَّسُولُ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ إِلَى الْمَدِينَةِ

الْمُنُورَةِ وَمَعَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَتَاعِ. فَبَدَأَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَتَحَلَّقُونَ وَيَجْتَمِعُونَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفُضُولِ

حَوْلَ الرَّجُلِ وَحَوْلَ مَا أَحْضَرَ مَعَهُ مِنَ مَتَاعٍ. وَفِي تِلْكَ

الْأَثْنَاءِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجًا مِنَ

الْمَسْجِدِ فَتَبَسَّمَ عِنْدَمَا رَأَى مَا حَدَثَ، ثُمَّ قَالَ هَذِهِ

الْكَلِمَاتُ مُحَدَّرًا: "فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا

الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ

الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِكُمْ، فَتَنَاقَسُوهَا كَمَا

تَنَاقَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُ"¹

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَقَاضِلُ!

لَا شَكَّ أَنَّ دِينَنَا الْجَلِيلَ دِينَ الْإِسْلَامِ يُحِيطُ بِجَمِيعِ

نَوَاحِي حَيَاتِنَا. وَلَا شَكَّ أَيضًا أَنَّ أَوْامِرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَنَوَاهِيهِ هِيَ وَسِيلَةُ لَنَا لِنَفُوزَ بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ

الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا وَبُلُوغِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ. وَرَعَمَ ذَلِكَ

فَإِنَّا أَحْيَانًا نَغْرُقُ فِي مَشَاغِلِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَنُغْمِصُ أَعْيُنَنَا

وَتَبْتَعِدُ عَنْ مَبَادِي دِينِنَا الْعَظِيمِ الَّتِي فِيهَا حَيَاتُنَا. كَمَا

وَأَنَّا نَبْتَعِدُ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِنَا الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَعَنْ أُسُوتِهِ وَفُذُوتِهِ الْحَسَنَةِ، وَنَفْقِدُ شَيْئًا فَشَيْئًا

تَأْثِيرَ الْإِسْلَامِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَ لِحَيَاتِنَا مَعْنَى.

وَإِنَّا نَمِيلُ إِلَى مَا هُوَ زَائِلٌ وَقَانٍ، وَنَفْقِدُ الْمُوَازَنَةَ بَيْنَ

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَتُصْبِحُ مِمَّنْ تَعَلَّقُوا بِحُبِّ الدُّنْيَا وَفُتِنُوا

بِهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

إِنَّ الرُّكُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَحُبِّهَا يَتَمَثَّلُ فِي تَعَلُّقِ

الشَّخْصِ وَتَمَسُّكِهِ بِهَا بِكُلِّ حِرْصٍ وَطَمَعٍ بَعْدَ أَنْ يَتَنَكَّرَ لِلَّهِ

تَعَالَى وَالْآخِرَةِ وَيَنْسَاهُمَا. وَيَتَمَثَّلُ كَذَلِكَ فِي إِهْمَالِهِ

لِمَسْئُولِيَّاتِهِ وَوَاجِبَاتِهِ نُجَاهَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِي مِيلِهِ الْكَامِلِ

لِلدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا. كَمَا وَيَتَمَثَّلُ أَيضًا فِي تَبْذِيرِهِ لِلْإِعْتِقَادِ

وَالْقِيمِ وَالْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَإِبْعَادِهَا عَنْ حَيَاتِهِ وَتَعَلُّقِهِ

بِمَتَاعِ الدُّنْيَا كَمَا لَوْ كَانَ مُخَلَّدًا فِيهَا. وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى

يُخْبِرُنَا عَنْ هَذَا النَّصْرُفِ الْخَاطِئِ لِلْإِنْسَانِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

"بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى"²

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَنَا إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ أَنْ

يَخْتَبِرَنَا وَيَمْتَحِنَنَا. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ

الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ دُنْيَا. وَلَكِنْ لَا يَجِبُ أَنْ يُهْمَلَ آخِرَتُهُ. وَلَا

الإِسْتِقْرَارِ وَالْعَجْزِ لِلْسَّبَبِ ذَاتِهِ. رَعِمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبْلَ قُرُونٍ عَدِيدَةٍ حَدَّرَ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: "يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، مَالِي قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ"⁴

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَقْضِلُ!

إِنَّ السَّبِيلَ لِتَحْوِيلِ الْإِسْرَافِ إِلَى تَوْفِيرٍ وَالطَّمَعِ إِلَى قَنَاعَةٍ وَالْقَلْقِ إِلَى تَوَكُّلٍ وَالْوَفْرَةِ إِلَى بَرَكَةٍ يَكُونُ مِنْ خِلَالِ خَلْقِ التَّوَاظُنِ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. كَمَا وَيَكُونُ بِإِقَامَةِ الْإِسْتِثْمَارِ لِكُلِّ مِنَ الدَّارَيْنِ بِالْقَدْرِ الَّذِي تَسْتَوْجِبُهُ كُلُّ مِنْهُمَا. لَذَا فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَنْسَى أَنَّ حَيَاتِنَا الدُّنْيَا تَمُرُّ سَرِيعًا كَطَرْفَةِ عَيْنٍ. وَلَنَعْمَلْ وَلَنَسْتَعِدَّ مِنْ أَجْلِ حَيَاتِنَا الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ. وَلَنَحْرِضَ عَلَى أَنْ نُبْتَعِدَ عَنِ الْمَظَاهِرِ وَأَنْ نَكُونَ مُتَوَاضِعِينَ وَبُسْطَاءَ فِي كُلِّ عَمَلٍ وَتَصَرُّفٍ لَنَا.

وَإِنِّي أَوْدُ أَنْ أَنْهِيَ حُطْبَتِي بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ حَيْثُ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ"⁵

شَكَ أَنَّ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا عَلَى النَّحْوِ الْمَشْرُوعِ هُوَ أَسَاسٌ مُهِمٌّ رَعِمَ أَنَّ الْغَايَةَ الْأَسَاسِيَّةَ هِيَ الْقَوْزُ بِالْدَّارِ الْآخِرَةِ. وَيَكْفِي أَنْ لَا يَكُونَ الْمُؤْمِنُ أُسِيرًا لِمَا يَمْتَلِكُهُ مِنْ إِمْكَاتٍ وَاسِعَةٍ، وَأَنْ يَسْتَعِدَّ هَذِهِ الْإِمْكَاتِ وَسِعَةَ الْحَالِ بِشَكْلِ مُنَاسِبٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنَالَ مِنْ خِلَالِهِ رِضَا اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"³

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

لَا شَكَّ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يَعُودُ عَلَيْنَا بِمَضَارٍ كَثِيرَةٍ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الْإِسْتِهْلَاكُ وَالْإِسْرَافُ بِلَا وَعْيٍ. فَبَيْنَمَا يَتَصَوَّرُ النَّاسُ جُوعًا فِي بَعْضِ مَنَاطِقِ الْعَالَمِ مُحْتَاجِينَ وَلَوْ لِلْقَمَّةِ يَفْتَاتُونَهَا، نَرَى الْإِسْرَافَ وَالتَّبذِيرَ قَدْ خَرَجَ عَنْ حُدُودِهِ فِي مَنَاطِقٍ أُخْرَى مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. وَمِنَ الْمُؤَسِفِ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحَ يَبْحَثُ عَنِ السَّعَادَةِ فِي التَّبذِيرِ وَالْإِسْتِهْلَاكِ. وَأَصْبَحَ يَطُنُّ أَنَّهُ سَيَكُونُ سَعِيدًا إِذَا مَا أَنْفَقَ عَلَى الْغَالِيِ وَالثَّمِينِ وَأَكْثَرَ مِنَ الْإِسْتِهْلَاكِ وَالْإِسْرَافِ. بَيْنَ أَنْ كَثْرَةَ الْإِسْتِهْلَاكِ وَعَدَمَ تَوَازُنِهِ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِقِيمَتِنَا الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَيُفْنِيَهَا. وَإِنَّ الْكَثِيرَ وَالْعَدِيدَ مِنَ الْأَشْخَاصِ يَتَخَبَّطُونَ فِي وَحْلِ الدُّيُونِ وَالْفَوَائِدِ الرَّبَوِيَّةِ بِسَبَبِ الْإِسْرَافِ الْمَبْنِيِّ عَلَى عَدَمِ الْوَعْيِ. وَكَمْ مِنْ عَائِلَةٍ وَأُسْرَةٍ تَعِيشُ حَالَةً مِنْ عَدَمِ

1 صحیح البخاری، کتاب المغازی، 12، صحیح مسلم، کتاب الزُّهد، 6.

2 سورة الأعلى، الآيات: 16-17.

3 سورة القصص، الآية: 77

4 صحیح مسلم، کتاب الزُّهد، 3.

5 سورة قاطر، الآية: 5.